المحاضرة الثانية عشرة:
علم القافية

تعتبر القافية عند القدامى من ركائز الشعر، فهي – على حدّ قول صاحب العمدة "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمّى شعرا حتّى يكون له وزن وقافية". ومن هذا المنطلق أخذت القافية مكانتها في الدرس العروضي إلى الدرجة الّتي جعلوا منها علما لها قوانينه وإشكالاته. علم القافية هو علم بأصول يعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون ولزوم وجواز وفصيح وقبيح... إلى غير ذلك.

أ- تعريفها:

أ- **لغة:** القافية في اللغة من قفا يقفو قفوا وقافية، وهي بمعنى الاتباع والتلو والمجيء من خلف، قال المولوي عبد الحكيم: مشتقّة من القفو؛ وهو التبعية، لأنّ القوافي يجيء بعضها إثر بعض".وقافية كلّ شيء آخره.

ب-**اصطلاحا**: لقيت القافية اهتماما كبيرا من قبل أهل العروض، وقد ذهبوا في تعريفها مذاهب شتّى. ويعدّ تعريف الخليل هو التعريف الدقيق والشائع، وعليه سارت المتون العروضية، حيث يعرّفها بأنّها من الساكن الأخير إلى الساكن الّذي يليه فالمتحرّك الّذي قبله، ومثال ذلك قول الشاعر:

أيّها المشتكي وما بك داء كيف تغدو أذا غدوت عليلا (القافية هي ليلا)

ب- **حروفها:** للقافية ستة حروف هي:

1- **الروي**: هو الحرف الذّي تبنى عليه القصيدة، وتنسب إليه، فنقول سينية البحتري، ولامية الشنفرى، ونونية أبي البقاء إلى غير ذلك نحو:(كتا(ب)) ، (مفر(د)ه)، (عضائ(م)ـهْ). وجميع الحروف تكون رويّا إلاّ الألف والواو والياء والهاء فإنّها قد لا تصلح أن تكون إلاّ في حالات معينّة.

2- **الوصل**: وهو إمّا الحرف الناتج عن إشباع حركة الروي، فيكون واوا بعد الضمّ(كتابُ(و))، أو ألفا بعد الفتح(كتابَ(ا))، أو ياء بعد الكسر(كتابِ(ي))،. وإمّا هاء ساكنة(كتاب(هْ))، أو متحرّكة(كتاب(هُ)و).

3- **الخروج**: وهو الحرف الناتج عن إشباع حركة هاء الوصل، وهو إمّا واو بعد الضمّ (كتابهُ(و))، أو ألف بعد الفتح(كتابهَ(ا))، أو ياء بعد الكسر(كتابهِ(ي)).

4- **الرّدف**: وهو حرف العلّة الواقع قبل الروي، وقد يكون ألفا(كت(ا)ب) أو واوا(دم(و)ع) أو ياء(كئ(ي)ب).

5- **التأسيس**: هو ألف مدّ يفصل بينه وبين الروي حرف واحد صحيح(عض(ا)ئم). ويُلتزم به في القصيدة كلّها.

6- **الدخيل**: هو ذلك الحرف الصحيح المتحرّك الّذّي يفصل بين الروي وألف التأسيس نحو: (عضا(ئ)م).

ت- حركاتها: ولها ستّ، وهي:

1. **المجرى**: حركة الروي المطلق الّذي يعقبه ألف أو واو أو ياء أو هاء ساكنة أو متحرّكة. إنّ حركة (الميم) في (فرجامها) هي المجرى في قول أحدهم:

عفت الديار محلّها فمقامها بمنًى تأبّد غوْلها فرجامها

2. **الرسّ**: هو حركة ما قبل ألف التأسيس نحو فتحة (الهاء) من قافية (هَازمو) في البيت الآتي:

ولست مليكا هازما لنظيره ولكنّك التوحيد للشّرك هازم.

3. **النّفَاذ**: حركت هاء الوصل نحو ضمّة (الهاء) من قافية (مفردهو) في قول الشاعر:

الحسن حلفت بيوسفه والصّورة أنّك مفرده

4. **الإشباع**:حركة الدخيل نحو كسرة (الراء) من قافية (كارِمو) في البيت الآتي:
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
5. **الحذو**: هو حركة الحرف الّذي قبل الرّدف نحو فتحة (الراء) من قافية (رَابو) في قول الشاعر:
إذا نلت منك الود فالكلّ هيّن وكلّ الّذي فوق التراب تراب
6. **التوجيه**: وهو حركة ما قبل الروي الساكن نحو كسرة (الراء) من قافية (تَحْتَرِقْ) في قول أحدهم:
أيّها العاذل في حبّي له خلّ عن نفسي جواها تَحْتَرِقْ

ث- أنواعها:

☒ **القسم الأوّل/ من ناحية التقييد والإطلاق:** تنقسم القافية من حيث حركة الروي إلى نوعين:

1- **القافية المقيّدة**: وهي القافية الّتي يكون فيها الروي غير موصول؛ أي ساكنا، بمعنى أنّه قيّد عن انطلاق الصوت به. وهي على ثلاثة أضرب:
أ- مجرّدة من التأسيس والردف: نحو ينتسبْ
ب-مردوفة: نحو الشروقْ، السلامْ، الكئيبْ
ت-مؤسّسة: نحو عائبْ

2- **القافية المطلقة**: وهي القافية الّتي يكون فيها الروي موصولا؛ أي متحرّكا بالضمّ أو الكسر.أو الفتح، بمعنى أنّ الروي أطلق الصوت به، وهي على ستة أضرب:
أ- مجرّدة من التأسيس والردف موصولة بحرف مدّ سواء أكان ألفا(القلما) أو واوا (القلمو) أو ياء(القلمي)
ب- مجرّدة من التأسيس والردف موصولة بهاءٍ سواء أكانت مفتوحة(مفردها) أو مضمومة (مفردهو) أو مكسورة (مفردهي) أو ساكنة (قاتلهْ)
ت-مردوفة موصولة بحرف مدّ سواء أكان ألفا(الكتابا) أو واوا (الكتابو) أو ياء(الكتابي)
ث-مردوفة موصولة بهاءٍ سواء أكانت مفتوحة(كتابها) أو مضمومة (كتابهو) أو مكسورة (كتابهي) أو ساكنة (كتابهْ)
ج- مؤسّسة موصولة بحرف مدّ سواء أكان ألفا(المكارما) أو واوا (المكارمو) أو ياء(المكارمي)
ح- مؤسّسة موصولة بهاءٍ سواء أكانت مفتوحة(أوصرها) أو مضمومة (أواصرهو) أو مكسورة (أواصرهي) أو ساكنة(أواصرهْ)

☒**القسم الثاني/ من ناحية الوزن أوالحدّ**: تقسم القافية باعتبار الحركات الّتي تفصل بين الساكنين الأخيرين إلى 5 أنواع[1]:

1- **المترادف:** إذا اجتمعا ساكنا القافية بلا فاصل، وهو خاص بالقوافي المقيّدة، نحو القافية (لاهْ) في قول الشاعر: المرء يخدعه مناهْ والدّهر يسرع في بلاهْ
2- **المتواتر:** إذا وقع بين ساكني القافية حرف متحرّك واحد، نحو القافية (سانو) في البيت الآتي:
جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسانُ
3- **المتدارك:** إذا وقع بين ساكني القافية حرفان متحرّكان، نحو القافية (أجملي) في بيت امرئ القيس: أفاطم مهلا بعض هذا التدلّل وإن كنت أزمعت صرمي فأجملي
4- **المتراكب:** إذا وقع بين ساكني القافية ثلاثة أحرف متحرّكة، نحو القافية (يختصمو) في قول بيت المتنبّي: أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ
5- **المتكاوس:** إذا وقع بين ساكني القافية أربعة أحرف متحرّكة، نحو القافية (هَاْوَشَنَفَتْ) في قول الشاعر: كما رأتني أمّ عمرو صدقت ومنَّعتْني خيْرها وَشَنَفَتْ

[1]- قال صفي الدّين الحلّي: متكاوس متراكبٌ متدارك متواتر من بعده مترادف.

☒ **القسم الثالث/من ناحية الاستعمال:** تنقسم القوافي- بحسب الاستعمال- إلى ثلاثة أقسام:

1- **الذّلل**: ما كثر على الألسن.

2- **النُّفُرُ:** ما قلّ استعماله كالّتي يكون رويّها جيما أو زايا.

3- **الحُوُشُ:** ما هو مهجور.

ج- عيوبها:

1- **الإيطاء:** هو تكرار كلمة الروي لفظا ومعنى في أقل من سبعة أبيات على المشهور، وكلّما تباعد الإيطاء كان أحسن، وأفحشه ما كان بين بيتين متواليين: وإذا ما ظفرت يوما بشكوى قال لي: أين كلّ ما تدّعيه
لا دموع ولا سقام فمـاذا شاهد عنك بالّذي تدّعيه

2- **التضمين:** ألاّ يستقل البيت بمعناه، بل يكون المعنى مقسوما بين البيتين، نحو قول النابغة:

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ، إنّي
شهدتُ لهم مواطن صادقات شهدن لهم بحسن الظنّ منّي

3- **التحريد:** هو تنويع الضرب في البحر الواحد:

إذا أنت فضّلت امرأ ذا نباهـة على ناقص كان المديح على النقْص
ألم تر أنّ السّيف ينقص قدره إذا قيل هذا السّيف خير من العِصِي

4- **الإكفاء:** هو اختلاف الروي بحروف متقاربة في النطق كتقارب (النون) و(اللام) في رويي البيتين الآتيين:

إذا زمّ إجمال[2]، وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين
تنادو بأعلى صخرة وتجاوبت هوادنُ[3] في في حافتهم وصهيل

5- **الإجازة:** هو اختلاف الروي بحروف متباعدة في النطق كتباعد (الراء) و(الباب) في رويي البيتين الآتيين:

خليليَّ سيرا واتركا الرَّحل إنّني بمهلكة والعاقبات تـدور
فبيناه يشري رحله قال قائـل لمن جمل رخو المناط نجيب[4]

6- **الإقواء**: وهو اختلاف المجرى بين الضمّ والكسر، كأن يكون روي مضموما، وآخر مكسورا نحو قول النابغة:

أمن آل ميّة رائح أو مغتدي عجلان، ذا زاد، وغير مزوّدِ
زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا وبذاك خبّرنا الغراب الأسودُ

7- **الإصراف**: ويسمّى الإسراف أيضا،وهو اختلاف المجرى بين الفتح والضم أو الكسر، كأن يكون روي مفتوحا، وآخر مضموما أو مكسورا. وهو أشدّ عيبا من الإقواء. وممّا يستشهد به قول علي بن محرز التونسي:

الصّبح تبيـّن فرقـده والشّرق توحّد مقصدُه
فهلمّ نشـارك وثبتـه ونمـدّ يدا لنعاهـدَه
الحقّ تعـزّز جانبـه وأبـاة الضّيم تعاهـدُه

8- **السناد**: هو اختلاف ما يجب أن يراعى قبل الروي من الحروف والحركات، وهو خمسة أقسام:

أ- باعتبار الحروف:

1- **سناد الردف**: هو اختلاف القافية بالردف وعدمه، كأن تكون القافية مردوفة، وأخرى خالية من الردف، نحو قول بن ثابت: إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وإن بابُ أمْرٍ عليك التوى فشاور حكيما ولا تعصه

2- **سناد التأسيس:** هو اختلاف القافية بالتأسيس وعدمه، كأن تكون قافية مؤسّسة، وأخرى خالية من التأسيس، نحو قول أحدهم:

---

[2]- زمّ شدّ، زمّ القوم: تقدّمهم، زمّ القوم: ساروا، أجمل القوم: كثرت جمالهم

[3]- هوادن: الخيول الّتي تكتم جريها ولا تظهره

[4]- رخو المناط: رخو: لين، المناط: موضع التعليق، النجيب: الحسيب من الحيوان

مررنا على الرّوض الّذي قد تبسّمت رباه، وأرواح الأبـــــــارق تسفَـكُ
فلم أر شيئا كان أحســـــن منظـرا من المزن يجري دمعه وهو ضاحِكُ

ب-باعتبار الحركات:

1- **سناد الإشباع**: هو اختلاف حركات الدخيل بالضمّ أو الكسر أو الفتح[5]، نحو قول مجنون بن عامر: فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني جميع القوى والعقل منّي وافِـرُ
ولكنّ أيّـــــــامي بحقل عُنَـــيْزَةٍ وبالرضم أيّام جنـــاها التجـاوُرُ

2- **سناد الحذو:** هو اختلاف حركات الحرف الّذي قبل الردف بين بيت وآخر[6]، نحو قول أمية بن أبي الصلت: تخبّرك القبائل من معدّ إذا عـدّوا سعـاية أوّلِينا
بأنّا النازلـــون بكلّ ثغرٍ وأنّا الضاربون إذا التقَيْنا

3- **سناد التوجيه:** هو اختلاف حركات الدخيل بالضمّ أو الكسر أو الفتح، نحو قول مجنون بن عامر: أسائل أين ضباب الصبـــاحِ وسحر المساء وضوء القمَرْ
وأسراب ذاك الفراش الأنيق ونحل يغنّي وغيـــــم يَمُـرْ
وأين الأشعّة والكائنـــــات وأين الحيـــاة الّتي أنتظِـرْ

[5]- يشير التبريزي إلى اختلاف حركة الدخيل بين الظمّة والكسرة غير معيب، والفتحة مع واحد منهما معيب.

[6]- يشير التبريزي إلى أن سناد الحذو يكون عيبا إذا كان بين الفتح والضمّ أو الكسر، ولا يكون كذلك إذا كان بين الضمّ والكسر